المبحث الثالث

**الثنائيات الضدّية الظاهرة وتجلياتها في النواحي الأخلاقية**.

في كلِّ عصر تتشكل أعراف وقيم , تكون محل تراض و توافق عام, ومحلَّ احترام والتزام, وتُصبح جُزءاً من المنظومة الأخلاقية للمجتمع ,ويصبح انتهاكها والاستخفاف بها سلوكا معيبا وربما مُعَاقَبا عليه, وإنَّ التمسك بها يكون خُلُقاً محمودا ومقدَّراً ,هذه الأخلاق العرفية والعادات الكريمة يكون لها في الأساس استمدادٌ من الفطرة والدين([[1]](#footnote-1)).

والأخلاق لغة: جمع خُلُق, والخُلُق- بضمِّ اللام وسكونها-هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة ,وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسٌ وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها([[2]](#footnote-2)).

أما في الاصطلاح فقد عرَّف الجرجاني الأخلاق بقوله: **((**عبارة عن هيئة للنفس الراسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة, فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة, كانت الهيئة خلقاً حسناً, وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً**))** ([[3]](#footnote-3)).

**((** الدعوة الأخلاقية دعوة قديمة قدم المجتمعات البشرية ، فما اجتمعت طائفة من الناس في أي مكان على ظهر الأرض وفى أي عصر من عصور التاريخ ، إلا وقد نجم – عن هذا التجمع – قواعد للتمييز بين "الخير" و"الشر"، و"الحق" و"الباطل"، و"الكمال" و"النقصان" ... وغير ذلك من المعايير التي يلتزم بها الإنسان في سلوكه ليحيا حياة سعيدة ؛ ويحقق أكبر قدر من الطمأنينة والرضا والسعادة **))** ([[4]](#footnote-4)).

وبهذا شكلت الأخلاق قاعدة للسلوك الإنساني , ولفهم هذه القاعدة لابّد من فهم طبيعة الذات الإنسانية والعلاقات التي تحكم حركتها مع الوجود ابتداءً بخالقها ومن ثَمَّ مع البشر أمثالها, وعلاقة الإنسان بالحياة وبما حوله من البيئة التي ينتمي لها ([[5]](#footnote-5)) , وللمجتمع الأثر العظيم في سلوك الفرد, إذاً لا يمكن الفصل بين سلوك الفرد والنظر له بمعزل عن مجتمعه, فالمجتمع الصالح المدعم بالتوصي وبالحقِّ ونصر المظلوم, والعدل, والعفّة ,والتكافل ,والتعاون, والأمانة, والرحمة , والصدق,.. وغيرها من القيم الأخلاقية السامية, قادر على بناء أفراد من شأنهم أن يبنوا مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط.

يتميز البشر بعضهم عن بعضهم الآخر في كثير من الأمور الباطنة والظاهرة التي تجعلهم مختلفين في طرق تفكيرهم وفي حياتهم ,ولا يمكن للبشر أنْ يتعايشوا سوياً إن لم يتبَّعوا بعض الأساليب والقواعد التي يتقبلها الجميع وتجعلهم يحافظون على علاقاتهم مع غيرهم, دون الاعتداء عليهم والتعامل معهم بالطرق المحببة والجيدة وهذا كله يحتاج إلى ما يسمى بالأخلاق.

وللعادات والتقاليد عند العرب الأثر العظيم في تنظيم حياتهم, ولها سطوة لا يستطيع أي فرد أن يتخلى عنها ,وعلى الرغم من وجود هذه الأخلاق الحميدة التي تنظم حياتهم , توجد إلى جانبها بعض الأخلاق الذميمة التي حاول الدين الاسلامي توجييها وتهذيبها فيما بعد.

ومن المفيد الإشارة إلى أنَّ الكثير من هذه القيم قد انتشرت بين العرب انتشاراً واسعاً عجت به امثالهم وأشعارهم وكانت موضع اعتزاز الإنسان العربي آنذاك , لكونها تكشف عن صدق التعبير عن الإنسان في مختلف حالاته النفسية غير مشوبة بالتصنِّع وغير مضطربة من الزيف , وبذلك تكون الأخلاق هي الحسُّ الإنساني العميق الذي يُسلمنا إلى أفكارٍ إنسانية سامية ومواقف نبيلة([[6]](#footnote-6)) ,لذلك وجب تسليط الضوء على هذه القيم التي سادت الأمثال العربية , وسندرس الثنائيات الضدية المتعلقة بها لبيان الفائدة المتوخاة من شيوعها بهذه الصورة التي يمكن توزيعها على النحو الآتي:

1. ثنائية الخير ضد الشر.
2. ثنائية الصدق ضد الكذب.

ج- ثنائية الوفاء ضد الغدر.

1. **ثنائية الخير والشر**

الخير والشر معنيان متضادان, إذ إنَّ الواحد عكس الآخر وكلاهما ينصبُّ حول الخصال الحميدة والذميمة , فالخير هو الذي يرغب فيه الكلّ والشر يرغب عنه الكل([[7]](#footnote-7)), وقد((شغلت ثنائية الخير والشر الإنسان منذ فجر الخليقة وحتى يومنا هذا لما لها من سطوة على النفس البشرية من خلال تحديد سلوك الإنسان)) ([[8]](#footnote-8)) وبهذا فأن الصراع بين الخير والشر من الصراعات الازلية ذات الجذور البعيدة فمنذ بداية الوجود تشاركنا ثنائية الخير والشر وكأنها تعدّ ميزان الحياة ,وإنّ بذرتي الخير والشر هما الأساس عمّا يصدر عن الذات الإنسانية من أقوال وأفعال , والخير نابع في الإنسان أي في خلقه فلا يمكن تغييره.

والخير والشر تراهما متلازمين في الشخص الواحد , فإذا كّثُرَ واحد على آخر عرف به ,وبهذا فإنَّ الحكم على بعض الأعمال بأنها خير وعلى سبقها الآخر بأنها شر فتقول : العدل خير والظلم شر وهذا الحكم متداول بين الناس على مر العصور فهو لا يخص زماناً او مكاناً معينين , وإنما هو موجود في كلّ زمان وفي كلّ مكان,وعلم الأخلاق يبين كلاّ من الخير والشر وما ينبغي أن يكون عليه الناس ويشرح الغاية من ذلك. ([[9]](#footnote-9))

ونجد في الأمثال ما يمثّل الخير والشر بمعنيهما المادي الذي يعني ما يرغب فيه, وما يكره حيث مثل الخير والشر الجانب الأخلاقي في المثل العربي, وهذا المعنى تابع للمعنى المادي فالخير بالمعنى الخلقي هو صنع ما ينفع الناس ويسعدهم والشر يقابله. **ومن أمثلة ذلك قولهم:-**

**(( إِنَّ مِنَ ابْتِغَاءِ الخَيْرِ اتِّقاء الّشرِّ )) ([[10]](#footnote-10)).**

قائل المثل ابن شهاب إذ جاء شاعر فمدحه فأمر بإعطائه وقال: (( إِنَّ مِنَ ابْتِغَاءِ الخَيْرِ اتِّقاءِ الشِّر)) ومعناه أن لسان الشاعر مما يُتقى, فينبغي أن يفتدى شرّهُ بما يُعطى وقال حكيم: إعطاءُ الشاعر من بر الولدين ([[11]](#footnote-11)),وقال الفرزدق:

**وَمَا حَمَلتْ أَمُّ امْرِىءٍ في ضُلُوعِها أَعَقَّ مِنَ الْجَــاني عَلَيْهَا هِجَائيَــــا([[12]](#footnote-12))**

وقال حاتم لابنه: إذا رأيت الشرَّ يتركك فاتركه , وقال هدبة العذري :

**وَلاِ أَتَمَنَّـــى الشَّـــــرَّ وَالشَّــرُّ تَــــارِكي ولَكِنْ مَتَى أَحْمَلْ عَلَى الشَّرُّ أَرْكَبِ([[13]](#footnote-13))**

أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا الصولي , قال :أخبرنا احمد ابو خيئمة , عن محمد بن بكّار عن محمد بن الحسن بن الهلالي , عن محمد بن المنكدر ,عن جابر ابن عبد الله قال :قال رسول الله(ص): (ما وقى الرجل به عرضه كتب به له صدقة, وما انفق المؤمن نفقة ...الخ) ([[14]](#footnote-14))

فإرادة الخير تتمُّ بدفع الشر عن النفس حتى وإنْ كان مقتدراً, فألفاظ المثل مرتبطة بقصته فذكر الخير ارتبط بأبن شهاب إذ أنه أراد تجنب لسان الشاعر لأنه له لسان سليط ,ولهذا أمر له بالعطايا, وهو لهذا السبب ربط الشر بالشاعر كي لا ينال منه بلسانه, وفي المثل حكمة وموعظة فبالعطاء صان عرضه , فالجانب الأخلاقي تمثَّل في كلٍّ من الخير والشر ,إذ إنَّ الخير والشر ملازمان للشاعر , وارتبطا ارتباطاً وثيقاً بالعطاء, فاذا كَثُرَ العطاء زاد الخير في ذاته , أما إذا قلّ أو أنتفى عن العطاء فإنَّ كفة الشر سترتفع ؛لأنَّ الخير والشر هما اللذان يتحكمان بما يصدر من النفس الإنسانية من أقوال وافعال.

وإنَّ حرف التوكيد(إنْ) حمّل المثل دلالة تفيد التبديل والعوض والتوكيد, تأكيد على اتقاء الشر, إذ يضرب المثل لمن ابتغى الخير باتقاء الشر , فـ(ابتغاء) وقع مصدرا ليدل على الاستمرار, لأنَّ النفس البشرية في طبيعتها, محبة للخير لنفسها ,وكذلك الأمر مع( اتقاء) أيضا ؛لأنَّ الرغبة الإنسانية باتقاء الشر على طول الزمان, ومهما طالت الحياة ويرمي المثل إلى توجيه المتلقي ونصحه لترسيخ قيم الخير والعزوف عما هو شر , والثنائية الضدية وقعت بين (ابتغاء الخير باتقاء الشر ) وإبعاده والسيطرة عليه, و يشير تقديمها إلى تقدير المخاطب وتقديم رتبته وتخرج عن دلالاتها إلى التأكيد ويعزز هذه الدلالة فعلا جملة الشرط (ابتغى ,واتّقى)الذي ارتبط بالزمن والحركة فطرفا الثنائية متساويان من حيث الدلالة والتأكيد , وقد مثلت جانباً ارتبط بحياة البشر , ومن خلال نص المثل نلاحظ وجود شخصين سيطرا على الثنائية هو الممدوح والشاعر, إما جمال البناء التركيبي فيظهر عبر حضور كلِّ من الخير والشر وغياب الممدوح والشاعر.

**ومن الامثلة ,المثل القائل:-**

**(( إِنَّ خَيْراً مِنَ الَخْيَرِ فاعِلُهُ وَإِنَّ شَراً مِنَ الَّشرَّ فاعِلُهُ )) ([[15]](#footnote-15)).**

ابتداء المثلُ ب(إنّ) التي تفيد التأكيد على المبالغة والكثرة المتوخاة من الدلالة, والقصد إنّ أفضل من الخير من يفعله وأسوأ من الشر فاعلُه فالتكرار (خير والخير ,شر والشر) جاء لزيادة التوكيد حيث وجه الكلام للغائب لكون الغرض من المثل , النصح والإرشاد ,والتوجيه التربوي والأخلاقي واضحاً عبر توجيه السلوك الذاتي والحث على فعل الخيِّر فهو أفضل من الخير نفسه , وأن من يفعل الشر فهو أسوأ من الشر بسبب انصياعه إلى رغباته .

وفي هذا المثل نجد تركيبا ثنائيا يقسم المثل إلى جزئين متضادين أولهما (خير من الخير فاعله) والثاني (شر من الشر فاعله )وفي هذا التضاد محمول دلالي كبير ,الغاية منه توجيه الجانب الأخلاقي الإنساني إلى ما ينفع , فكل جزء منهما ينطوي على أبعاد نفسية وجدانية انفعالية عميقة .

**ومن الأمثال التي تضمنت معنى الخير والشر قولهم :-**

**((الخَيْرُ عادَة والـَّشرُّ لجَاَجَهٌ ))([[16]](#footnote-16)).**

وهذا المثل واحد من أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معناه ((جعل الخير عادة لتمرين النفس وحرصها عليه إذا لقته لطيب ثمره وحسن أثره ,وجعل الشر لجاجة لما فيه من الاعوجاج ولاحتواء العقل إيّاه ))([[17]](#footnote-17)),وعن معنى الخير عادة إن المؤمن الثابت على مقتضى الايمان والتقوى ينشرح صدره للخير فيصير له عادة , وذلك لأنَّ الإنسان مجبولٌ على الخير ,قال تعالى:**{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}** ([[18]](#footnote-18)) ,أماّ الشر فلا ينشرحُ له صدره فلا يدخل إلى قلبه بلجاجة الشيطان, والنفس الأمارة بالسوء واللجاجة الخصومة([[19]](#footnote-19)), وإنَّ المتأمل في نص المثل جيدا يجد أن الواقع الأصلي من المثل هو الفخر بالأخلاق الحميدة , وتتجلى في النص الثنائية المتضادة ظاهرة صريحة متمثلة في كلمتين الخير والشر والثنائية الأخرى يستدل عنها من خلال القرائن (اللجاجة وعادة ) والقصد منها المدح والذم ويبدو من اللافت إن النصح والإرشاد هما المعنيان الأكثر وضوحاً في المثل, وذلك لتوجه الذات البشرية نحو الخير لتظهر القيمة الحقيقية للأخلاق البشرية عبر فعل الخير والابتعاد عن الشر في ضوء ذمه الشر ,في هذا المثل يخاطب العقل فنلاحظ توجيها مباشراً للعقل على فعل الخير والابتعاد عن الشر([[20]](#footnote-20)).

**ومن أمثلة ذلك قولهم :-**

**((مَنْ يَزْرَعْ خيراً يُوشِك أن يَحْصد غِبْطة ,ومَنْ يَزْرع شراً يُوشِك أن يَزْرع ندامة)) ([[21]](#footnote-21)).**

إنَّ القيمة الحقيقية من الحياة تكمن في الانتفاع بها وعدم إضاعتها وبذل الجهد بالشر ,وهذا المثل أحد أقوال عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه)حيث يمتلك في عمقه الدلالي توجيهاً كبيراً لتقويم السلوك الإنساني ودفعه نحو عمل الخير والابتعاد عن الشر, وعن كلّ أوجه الشر لما فيه من الندامة لصاحبه, وإنّ استعمال أسلوب الشرط يتيح للأمثال ثنائية متميزة لأنه يقوم على وحدتين الأولى تضمنت الشرط والثانية فعل جواب الشرط , وهذا ما وجدناه في الأمثال وبالذات المثل الذي نحن الآن بصدد شرحه, ويأتي استعمال المثل بصيغة الجملة الشرطية لتصعيد الدلالة والتعبير عن هذه التجربة, لارتباطها بالتجربة الإنسانية بصورة صريحه تتجلى في النص عبر الثنائية الضدية (الخير ضد الشر) و (يزرع ضد يحصد) و(غبطة ضد ندامة) كل هذه الثنائيات مرتبطة بثنائية مركزية هي الخير والشر, في هذا النص توجيه لترسيخ البعد الأخلاقي للإنسان ,لأن من يسعى إلى فعل الخير فسيكون بأحسن حال ,إما من يسعى إلى الشر فنتيجته الندامة, وإنّ فعل الخير لا ينتهي بما يندم عليه فاعله فليس للخوف من فعل الخير وجه.

1. **ثنائية الصدق والكذب**

((الصِّدْقُ: نَقِيضُ الكَذِبِ)) ([[22]](#footnote-22)) والصِّدْقُ هو مطابقة الكلام للواقع وهي حقيقة علمية يراد بها صدق الفعل والقول ويكون مطابقاً وموافقاً للواقع. ([[23]](#footnote-23))

اما الكذب ((إخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه في الواقع ,عكسه الصدق)) ([[24]](#footnote-24))

ينتمي الصدق والكذب إلى ثنائية الخير والشر في الحياة ,فالصدق أحد أوجه الحقيقة التي ليس من السهل البوح بها كونها تضرُّ بالمصالح الخاصة أحياناً على خلافه الكذب يحجب الحقيقة لتحقيق مصلحة خاصة, فكُلمّا زادت القيم الأخلاقية ساد الصدق والفضيلة في المجتمع, وبهذا يكون الجذر الأساسي لقيم الصدق والكذب هو الخير والشر السائدة في المجتمع ولكلّ منهما سلوكٌ وممارسة محدودة يوجها غرساً تربوياً لمباديء المجتمع .

والقيمة الأخلاقية التي يحملها الصدق, وإسهامه في إظهار الحقيقة ,يعدُّ من أسباب عزّة النفس الإنسانية وكرامتها, وأمّا الكذب فهو أحد دواعي ذلّة النفس ومهانتها.

لذلك فان الصدق والكذب من القيم الخلقية التي لها تأثير على المجتمع بعامة لاشتمالهما على صفات تجعل الإنسان محبوباً أو منبوذاً في المجتمع وقد عبروا عبر أمثالهم عن هذا الجانب المهم في الحياة ومن أمثلة ذلك قولهم:-

**((الصَّدْقُ عِزُّ وَالكَذِبُ خُضُوعٌ)) ([[25]](#footnote-25)).**

**((** قاله بعض الحكماء, يُضرب في مَدحِ الصدق وذم الكذب**))** ([[26]](#footnote-26))

الغاية من مدح الصدق والإعلاء من شأن صاحبه, وذمّ الكذب لغرض إقناع الناس بضرورة العزوف عنه, فدلالة المثل واضحة هي النهي عن الكذب والحثّ على الصدق ,ومن أهم الجوانب التي ركَّز عليها تركيب هذا المثل هو القيم التربوية , يلازم نص المثل بين الصدق والعزة فهما صفتان قيمتان متلازمتان, والصدوق عزيز النفس ؛لأن الصدق عزّ أما الكذب فهو ذُلّ وخضوع, وإلى جانب هذه الملازمة القيمية حمل المثل في صورة نفسية قيمية مضادة, فالكاذب ذليل النفس خاضع قادته نفسه الوضيعة للكذب والخضوع لخسته وملازمته هذه الحال فلازم معنى الكذب الخضوع ولازم معنى الخضوع الكذب ,فهناك تضاد بين الصفتين وما لازمهما فالصدق نقيض الكذب ,ولازم معنى الصدق وهو العزة يتضاد مع ملازمة معنى الكذب وهو الخضوع والخضوع يتضاد مع العزّة , وذلك تعزيزا لمكانة الصدق بين الناس.

وفي المثل جاء الصدق وقيمته واضحة جلية سهلة فهو لا يحتاج إلى مؤثرات لتزيينه للناس , وكذلك الكذب فقد استعمل الصيغة التي وصف بها الكذب بسيطة ولا تحتاج إلى مؤكدات فاستعمال الصيغ اللفظية مع اقترانها بألفاظ لبيان قيمة كلّ من الصدق والكذب .

**ومن النماذج التي تحمل ثنائية الصدق والكذب ما ذكرهُ الميداني كقولهم :-**

**((الكَذِبُ دَاءٌ والصُدْقُ شِفَاءٌ)) ([[27]](#footnote-27))**

**((**أي داء للمكذوب فإنَّه يُعَمِّى عليه أمْرَهُ**))** ([[28]](#footnote-28)).

صيغ المثل على شكل جملتين اسميتين معطوفتين, ولهذا دلالة على الاستمرار وعدم التغيير في كلا طرفي الثنائية الضدية , ونلمح التكثيف الدلالي في بناء التركيب فمن دلالاته أنّ مفتاح السعادة الصدق, والكذب شقاء وقد شبه الكذب بالداء لما فيه من ضرر لصاحبه وهو من العادات السيئة التي قد تصبح ملازمة للشخص وهو صفة سيئة لا تليق بصاحبها, إذ تجعله منبوذاً من المجتمع, أما الصدق فهو نجاة وشفاء, فاستعمال صورة تشبيهية في كلّ من طرفي الثنائية (الكذب داء والصدق شفاء) لتحقيق الغرض التربوي الأخلاقي وذلك عبر استعمال صورة تشبيهية تثير الجانب الوجداني والثنائية تتحدث عن صراع يدور في داخل النفس بين الصدق والكذب ومحاولة توجيه هذا الصراع ليصل إلى ما هو أنفع وهو الصدق, والثنائية لا تعبر عن شخص برمته إنما هو توجيه للمجتمع بأكمله وجاء التركيب الصوري للمثل بشكله السهل المتناغم لجذب انتباه المتلقي وزرع الجانب الإيجابي بالتمسك بالجانب المشرق للواقع والابتعاد عن الجانب السلبي المتمثل بالكذب, الكذب يعزّر بالمكذوب أصواته ووضوح مغزاه ويجعله يحظى في تقدير الموقف فتطيش أحكامه فيه, وأمّا الصدق فانه يجعل الصدوق يعمل على بصيرة من الأمر وعلى تقدير أنّ يكون فيه مصيبا وذلك هو داء الكذب وشفاء الصدق.

## ومن الأمثال التي شكلت ثنائية الصدق والكذب قولهم:-

**((عِنْدَ النَّوَى يَكذِبُكَ الصَّادِقُ ))**([[29]](#footnote-29))

النوى :الوجه الذي يقصده القاصد وقيل الحاجة (ويضرب فيمن يعرف بالصدق ثم يحتاج إلى الكذب), أي ان الصدوق قد يحتاج إلى أن يكذب كذبة وأصله **((** إن رجلاً كان له عبد لم يكذب قَطَ, فبايَعَهُ رجل ليكذبنّه, أي يحملنّه على الكذب , وجعلا الَخْطَر بينهما أهلهما ومالهما, فقال الرجل لسيد العبد: دَعْه يَبِتْ عندي الليلَةَ , ففعل, فأطعمه الرجلُ لحمَ حُوَار وسقاَه لبناً حليباُ, وكان في سقاء حازِر, فلما أصبحوا تحمَّلوا , وقال للعبد: الحَق بأهلك فلما تَوَارى عنهم نزلوا , فأتى العبد سيِّدَه , فسأله , فقال :أطعموني لحماً لا غَثاَّ ولا سَميناً , وسَقَونِي لبناً لا مَحضاً ولا حقينا , وتركتهم قد ضعنوا .فاستقُّلوا ولا أعلم أساروا بعدُ أم حلُّوا , وفي النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا , وأحرز مولاه مالَ الذي بايعه وأهلَه, قال أبو سعيد: يضرب للذي ينهي إلى غاية ما يعلم , ويكفّ عما وراء ذلك, لا يزيد عليه شيئاً **))**([[30]](#footnote-30)).

ألفاظ المثل ذات ارتباط وثيق بقصة المثل, فهي تحمل كلاً من الصدق والكذب في دلالتها ,حيث يبين الأسباب التي تدفع بالشخص إلى الكذب وقد تكون الحاجة ولكن على الرغم من ذلك فلا تُعَدّ الحاجة مبرراً للكذب مهما بلغت, لأن الصدق أجدى وأنفع لصاحبه ,وذلك لتجنب ما يُوصل اليه الكذب ,وتنبعث من المثل ثنائية ضدية بين (الكذب و الصدق), وصِيْغَ المثل بأسُلوب خبري أراد المتكلم من خلاله إقناع المتلقي بالابتعاد عن الكذب, وقد جسد المثل تجربة حياتية, القصد منها هو اخذ العبرة ,فقد يكون الإنسان صادقاً وعرف بذلك فأنه قد يحتاج إلى أنّ يكذب في بعض المواقف ووجب التحقق في الكلام سواء أصدر الكلام من صادق ام كاذب.

**ومن النماذج التي عبرت عن هذه الثنائية قولهم:-**

**((إَنْ كَذِبٌ نَجىَّ فَصِدْقٌ أَخْلَقُ)) ([[31]](#footnote-31)).**

**((** تقديره إن نجى كذب فَصِدق أجدرُ وأولى بالنتيجة**))** ([[32]](#footnote-32)), أي أنه إذا كذب نجى أما إذا صدق أهمل وهلك, وعلى الرغم من هذا , فإن الكذب في ذاته محذور والصدق محبوب فالكذب إحدى آفات اللسان ولا يكون دائما وسيلة للنجاة ,وإن ممارسته أحياناً من باب الخوف والرجاء والغاية منه النجاة, والثنائية الضدية هنا جاءت الأولى تابعة للثانية وفي الوقت نفسه سيطرت عليها في الدلالة, إذ جسدت الثنائية شخصاً واحداً, ويحمل المثل مبررا للكذب الذي يأتي بمعنى النجاة وهذا على غير ما في الحياة العامة ومن هنا تبدوالمفارقٌة بين ما هو معتاد عليه وغير معتاد عليه , وفي ذلك طغيان للمواقف العقلانية بوصفه وسيلة من وسائل النجاة .

**ومن أمثلة العرب في هذا الميدان قولهم :-**

**(( دَعِ آلكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفُعكَ فإِنَّهُ يَضُرُّكَ وعليك بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَضُرُّكَ فإِنَّه يَنْفَعُك)) ([[33]](#footnote-33))**

معنى المثل تجنّبْ الكذب وإنْ كنُت تراه نافعاً لك وعليك بالصدق وإنْ كان ضارا ,وفي هذا المثل نهيٌّ عن الكذب والحث على تركه والتوجّه نحو الصدق وضرورة التمسك به , لأنه يجلب المنفعة لصاحبه وإن أعتقد أنه يضرُّه ,وذلك لأنّ الصدق من أسمى القيم, ومن أشرف الصفات وتقول العرب في هذا : ((لسان صدق مع العسرة ,خير من سوء الذكر مع الميسرة)) ([[34]](#footnote-34)) .

أن المتضادّين (الصدق ضد الكذب) يحملان دلالة المدح والذم والخير والشر فقد مدح الصدق عبر القرينة ينفعك وبهذا يكون الصدق منفعة وعلى العكس من ذلك الكذب , وقد أحتوى نص المثل على ثنائية أخرى هي (النفع والضر ) النفع المتحقق مع الصدق وليس العكس من ذلك ,وفي هذا المثل توجيه لعامة الناس وذلك لمعالجة مشاكل المجتمع والقضاء عليها, وذلك عبر مدح الخصال الحميدة والحث عليها, والابتعاد عن الخصال المذمومة .

**ج- ثناية الوفاء ضد الغدر**

الوفاء :وَفَى يَفِي وَفاءً فَهُوَ وافٍ يقال وَفَي فلان بَعهدهِ إذا أتمه ([[35]](#footnote-35)) , ويقال إنّ الوفي (( الذي يعطي الحق ويأخذ الحق )) ([[36]](#footnote-36)) والوفاء صفة ترادف الأمانة وهو صورة من صور الكرم النفسي, والَغْدرُ : (( ضِدُّ الْوفاء بِالْعَهْدِ ,والغَدْرُ تَرْكُ الْوَفاء, هو الصفة المناقضة للوفاء وقيل هي ترك الوفاء بالعهد)) ([[37]](#footnote-37)) ,والغدر صفة ترادف الخيانة, ويعد الوفاء من أنبل الشمائل الإنسانية ,وكان العرب في جاهليتهم لا يقدرون شيئا كما يقدرون الوفاء, فإذا وعد أحدهم وعدا أوفى به وأوفت معه قبيلته حتى ولو كلف ذلك أعز ما يملك من متاع الدنيا ([[38]](#footnote-38)).

والوفاء من أخلاق العرب, وقد بيَّنت الحياة الاجتماعية أنهم كانوا يتعاقدون في المخالفات على الدم والرب والماء والطيب ويتمسحون بالكعبة ,يريدون توكيد الحلف ومصاحبته بعمل مادي يذكر بالوفاء ,وكان الغدر معرة يتجافونها, وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواء بسوق عكاظ ليشهروا به ([[39]](#footnote-39)) , وفي هذا فان الحياة العربية لم تخلوا من صفة الوفاء والغدر ,فقد حبب العرب الوفاء ونقضوا الغدر ,ومما يؤكد ذلك شيوع هذا المعنى بكثره في الأمثال العربية ومن أمثلة ذلك قولهم:-

**(( رُبَّ مُؤْتَمنٍ ظَنيِنٌ وَمُتَّهَمٍ أَمينٌ)) ([[40]](#footnote-40)).**

ظنين كلّ ما لا يوثق به والظنين متهم , يحمل المثل في طياته ثنائية ضدية تدور حول الوفاء والغدر في كل من (مؤتمن ضد ظنين) و(متهم ضد أمين) والمثل في حد ذاته يحمل المدح والذم فهو مدح للمؤتمن وذم للخائن, فقائل المثل يعمد إلى إشاعة الثنائيات الضدية في المثل ليؤكد معنىً من المعاني عن طريق خلق حالة من التضاد في اللفظ وفي المعنى, **((** و(رُبَّ) تفيد التقليل**)) (**[[41]](#footnote-41))هنا لحصول العكس احياناً فمن نعت بالأمانة قد يصدر منه الخيانة , والقصد إبراز التمايز بين المتضادات والغاية من اشاعة المتضادات هو خلق صورة ذهنية في عقل المتلقي تشير إلى جانب أخلاقي, وذلك ؛لأنّ العرف الاجتماعي الذي كان سائداً لدى العرب يدعو للمحافظة على الامانة , ولكن المراد في هذا المثل هو أن يعكس صورة مختلفة تماما , وتظهر لنا صورة على عكس ما تتوقعه من المثل عبر مخاطبة العقل لغرض توخي الحذر لأن طباع الناس في تغيّر مستمر, وقد يخيب الظن فيمن توقعنا منه كتمان السر وصيانة الأمانة , فهذا المثل يدعو إلى أن يكون الإنسان هو كاتمُ سرّه الوحيد فلا يكشف سره ولا يأمن لأي شخص وإنما يكون الحذر حليفه في كُلّ ما حوله .

## ومن النماذج التي عبرت عن ثنائية الوفاء والغدر قولهم:-

**(( ياَ رُبَّماَ خاَنَ النَّصِيحُ الْمُؤْتَمَنْ)) ([[42]](#footnote-42))**

**((**يُضرب المثل في ترك الاعتماد على أَبناء الزمان**))** ([[43]](#footnote-43)) , والوفاء هو الإخلاص و العطاء والعهد، بعيداً عن الخيانة والغدر، وهو يقرب الناس إليك ويشيع المودة والحب، عبر تحليل الألفاظ الداخلة في المثل فتتجسد الثنائية المتضادة في ضوء (الخيانة و الأمانة ) وهاتان المتضادتان من الصفات التي تنسب إلى الإنسان بالسلب والإيجاب, فالخيانة تستوجب نقيضاً لها وهي الأمانة لبيان دلالة كل من الخيانة والأمانة وقيمتها, ومن خلال النظر إلى متون المعاني المتجمهرة في نص المثل نستشف علاقة التضاد التي نكتشف بها علاقة مهيمنة على النص تضمنها المقابلة بين اللفظتين المتضادتين, فالخيانة هي اللفظة الارتكازية التي يحاول إظهارها في صراع مع المهجو لتعطي دالاً قوياً في إظهار المفارقة بين كلِّ من الخيانة والأمانة وتأتي الثنائية هنا لإظهار النصح والتوجيه .

**ومن أمثلة ذلك قولهم :-**

**(( وَلوُدُ الَوعْدِ عاقِرُ الانِجْازِ)) ([[44]](#footnote-44)).**

يُضرب لمن يكثر وَعْدهُ ويقل فعله **([[45]](#footnote-45))**

أي يكثر من الوعد لكن دون إيفاء لها ودون انجاز, ومن المعلوم أنَّ الذم يظهر المعاني السلبية , لذلك فان لهذا الأُسلوب أثراً وواقعا شديدا في نفس المتلقي, وهذا ما نجده في هذا المثل حيث استعمل الذم للمقابل وذلك لأنه يقطع الوعد ولا ينجز , وأنّ تحليل الألفاظ الداخلة في الثنائية الضدية(الوفاء والغدر ),تظهر لدينا ثنائية (ولود الوعد ضد عاقر الإنجاز) ف(ولود الوعد) مثلت الوفاء وهو المرجو ممن يعد ,ومثلت (عاقر الإنجاز) على الغدر , فتحققت الثنائية من خلال (الوفاء والغدر) وهو بما يوعد من الوعد ما يلزم من وفاء ولكن دون إنجاز ,والثنائية الضدية تدور حول شخص واحد فهي على الرغم ما بها من ذم للشخصِ المقصود الاّ أنّها تحمل جانباً آخر هو النصح والإرشاد للشخص المقابل بأنْ يعتبر ولا يمثل الجانب السلبي المتمثل في الشخص الموجود.

وعبر هذا كلّه نخلصُ إلى اعتزاز الإنسان العربي وارتباطه الوثيق بالأخلاق الحميدة عبر محاولة إحياء القيم النبيلة واشادته بمن يتجسد به , وذمّه لكلّ ما يتعارض مع هذه القيم , وأسهمت هذه الأمثال في توجيه المتلقي للتحلي بالأخلاق الرفيعة التي عُرف بها المجتمع العربي عبر استعمال الثنائيات الضدّية وبيان الفضيلة لمن يتحلى بهذه الأخلاق من خلال استعمال الصفة المضادة لكي يؤثر في المخاطب لبيان الفضيلة للطرف الأخر , وقد أدرك العرب ذلك بفطرتهم عبر التجارب ,وذلك لحماية أنفسهم في ضوء إشاعة القيم الرفيعة في المجتمع لما لها من أثر عظيم في تنظيم حياتهم الاجتماعية، ولما لها من سطوة لا يستطيع الفرد أن يتخلى عنها، وقد تقوم مقام الدين أو القانون أو العرف.

1. )ينظر, مصادر الاخلاق, احمد الريسولي ,مجلة الدستور , (مقال) مجلة الدستور , عمان , 2014. [↑](#footnote-ref-1)
2. )ينظر ,لسان العرب: مادة خلق. [↑](#footnote-ref-2)
3. )معجم التعريفات:101. [↑](#footnote-ref-3)
4. ) مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة, أمل مبروك عبدالحليم: 722 (بحث), مجلة كلية الأداب – جامعة عين الشمس ,ع100, س2012 . [↑](#footnote-ref-4)
5. ) ينظر,مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول, محمد شحادة تيم : 15 (رسالة مقدمة دكتوراه), جامعة أم القرى , السعودية, 1994. [↑](#footnote-ref-5)
6. ) ينظر, القيم الأخلاقية وجمالياتها في الشعر الجاهلي معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجا, مونسي مصطفى , عبيد الله محمد , :19(رسالة ماجستير), جامعة بكربلقا يد(تلمسان) - الجزائر , 2014. [↑](#footnote-ref-6)
7. ) ينظر, معجم مفردات القران, العلامة أبو القاسم الحسيني بن محمد بن المفضل بالراغب الأصفهاني (ت 503هـ) :181 ضبطه وحققه وخرج أبياته وشواهده , إبراهيم شمس الدين ,دار الكتب العلمية , بيروت(لبنان) ,ط1, 1997م . [↑](#footnote-ref-7)
8. ) الخير والشر بين النسبي والمطلق, حيدر الجراح(مقال), مجلة النبأ, ع 34,س 1420. [↑](#footnote-ref-8)
9. 3)ينظر, القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي, انتصار مهدي عبد الله: 4(اطروحة دكتوراه), كلية الآداب جامعة الخرطوم, 2008. [↑](#footnote-ref-9)
10. 1) مجمع الأمثال:1/134. [↑](#footnote-ref-10)
11. )المصدر نفسه: 1/ 134. [↑](#footnote-ref-11)
12. )شرح ديوان الفرزدق , عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه : عبد الله اسماعيل الصادق : 896, الناشر مكتبة ابن تيمية ,القاهرة ,ط1 , 1936. [↑](#footnote-ref-12)
13. )شعر هدبة بن الخشرم العذري ,الدكتور يحيى الجبوري: 75, دار القلم الكويت, ط2, 1986 . [↑](#footnote-ref-13)
14. ) ينظر جمهرة امثال العرب ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: 1/147-148 . [↑](#footnote-ref-14)
15. )مجمع الأمثال: 1/98. [↑](#footnote-ref-15)
16. )مجمع الأمثال:1/ 437. [↑](#footnote-ref-16)
17. )المصدر نفسه:1/437. [↑](#footnote-ref-17)
18. ) الروم :30. [↑](#footnote-ref-18)
19. ) ينظر, حاشية شرح سنن ابن ماجة ,محمد بن يزيد بن ماجه القزويني أبو عبد الله 1/80 **حققه وضبط نصه:شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل وعبد اللطيف حرز الله, مؤسسة الرسالة,د.ط , د.ت.** [↑](#footnote-ref-19)
20. )ينظر ,الأنساق الثقافية في مجمع الأمثال للميداني , إبراهيم محمد إبراهيم الزهراني:114 (رسالة ماجستير), جامعة اليرموك ,إربد- الأردن,2012. [↑](#footnote-ref-20)
21. )مجمع الأمثال: 4/61 . [↑](#footnote-ref-21)
22. ) لسان العرب مادة: صدق. [↑](#footnote-ref-22)
23. ) ينظر من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ,عثمان موافي : 145, دار المعرفة, مصر ,د.ط,1990. [↑](#footnote-ref-23)
24. ) لسان العرب مادة :كذب. [↑](#footnote-ref-24)
25. ) مجمع الأمثال: 2/240 . [↑](#footnote-ref-25)
26. ) المصدر نفسه: 2/240. [↑](#footnote-ref-26)
27. ) مجمع الأمثال:3 /65. [↑](#footnote-ref-27)
28. ) المصدر نفسه: 3/65. [↑](#footnote-ref-28)
29. ) مجمع الأمثال:2/ 350. [↑](#footnote-ref-29)
30. ) فرائد الخرائد في الأمثال معجم في الأمثال والحكم النثرية والشعرية, أبي يعقوب بن يوسف ابن طاهر الخويي تلميذ الميداني(549هـ ) ,تحقيق: عبد الرزاق حسين :359, دار النفائس, الاردن ,ط1 ,2000. [↑](#footnote-ref-30)
31. )مجمع الأمثال :1/ 119. [↑](#footnote-ref-31)
32. )المصدر نفسه:1/119. [↑](#footnote-ref-32)
33. )المصدر نفسه: 1/477. [↑](#footnote-ref-33)
34. ) كتاب السياسة والإشارة في تدبير الإمارة, ابو بكر محمد بن الحر المرادي : 102, دار الكتب العلمية ,د.ط, 2003. [↑](#footnote-ref-34)
35. ) ينظر ,لسان العرب : مادة وفى. [↑](#footnote-ref-35)
36. ) المصدر نفسه :مادة وفى. . [↑](#footnote-ref-36)
37. ) المصدر نفسه: مادة غدر . [↑](#footnote-ref-37)
38. ) ينظر,تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي:69. [↑](#footnote-ref-38)
39. ) ينظر, الحياة العربية من الشعر الجاهلي:281, 282. [↑](#footnote-ref-39)
40. ) مجمع الأمثال 2/ 65. [↑](#footnote-ref-40)
41. ) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب, المؤلف ابن هشام الأنصاري النحوي(ت761هـ) ,تحقيق وشرح : عبد اللطيف عبد الخطيب:ج1/180, المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون , الكويت ,ط1, 2000. [↑](#footnote-ref-41)
42. ) مجمع الأمثال: 3/524. [↑](#footnote-ref-42)
43. )المصدر نفسه: 3/524. [↑](#footnote-ref-43)
44. ) مجمع الأمثال:3/ 441. [↑](#footnote-ref-44)
45. ) ينظر, المصدر نفسه:3/ 441. [↑](#footnote-ref-45)